

المحاضرة الثالثة "بين المنهجية والمنهج"

أولاً: أهمية فهم المصطلحات الأساسية في البحث العلمي:

يُعد فهم المصطلحات الأساسية في البحث العلمي ركيزةً جوهرية لنجاح أي دراسة أو مشروع بحثي. فالمصطلحات ليست مجرد كلمات أو تعبيرات، بل هي مفاتيح لفهم الإطار النظري والتطبيقي للبحث. عندما يتقن الباحث هذه المصطلحات، يتمكن من:

1. الوضوح والدقة: تجنب الالتباس وسوء الفهم بين الباحثين أو بين الباحث والجمهور. فالمصطلحات الدقيقة تضمن أن الأفكار تُنقل كما هي مقصودة، دون تشويه أو غموض.
2. التأسيس النظري السليم: فهم المصطلحات يساعد الباحث على بناء إطار نظري متين، حيث يرتبط كل مفهوم بسياقه الفلسفي والمنهجي بشكل صحيح.
3. اختيار الأدوات المناسبة: عندما يفهم الباحث مصطلحات مثل "المنهج" و"المنهجية"، يتمكن من اختيار الطرق البحثية الملائمة لأسئلة دراسته وأهدافها.
4. التقييم النقدي: يصبح الباحث قادراً على تحليل ونقد الدراسات السابقة أو الحالية بناءً على فهمه العميق للمفاهيم الأساسية.
5. التطور المعرفي: إتقان المصطلحات يُسهل مواكبة التطورات في مجال البحث العلمي، حيث تُبنى المعرفة الجديدة على أساس المفاهيم المُتفق عليها.

السؤال الذي يبقى يطرح نفسه: ما الفرق بين المنهجية والمنهج؟

ثانياً: تعريف المنهج (Method)

المنهج هو أداة أو طريقة منظمة ومحددة تُستخدم في البحث العلمي أو الدراسة لجمع البيانات أو تحليلها أو تفسيرها، بهدف الوصول إلى نتائج دقيقة وموثوقة. يُعتبر المنهج بمثابة الإطار العام الذي يوجه الباحث في كيفية إجراء الدراسة، بدءاً من تحديد المشكلة البحثية وحتى تقديم النتائج. يعتمد اختيار المنهج على طبيعة

الموضوع المراد دراسته والأهداف المتوخاة منه، حيث يضمن المنهج المناسب تحقيق الدقة والموضوعية في البحث.

1.2. خصائص المنهج الفعال:

1. الوضوح (Clarity) يجب أن يكون المنهج واضحًا في خطواته وأدواته، بحيث يمكن فهمه وتطبيقه بسهولة من قبل الباحثين الآخرين.
 2. القابلية للتطبيق (Feasibility) يجب أن يكون المنهج عمليًا وقابلًا للتطبيق في ظل الموارد المتاحة (الوقت، التكلفة، الأدوات).
 3. الملاءمة للهدف (Relevance) يجب أن يكون المنهج مناسبًا للأهداف البحثية، بحيث يساعد في الإجابة على الأسئلة المطروحة أو اختبار الفرضيات.
- بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يتسم المنهج بالموضوعية (Objectivity) لضمان خلو النتائج من التحيز، وبالقابلية للتعميم (Generalizability) إذا كانت النتائج قابلة للتطبيق على سياقات أوسع. كما أن المرونة (Flexibility) تعد ميزة مهمة، حيث تسمح بتعديل المنهج وفقًا للمتغيرات الطارئة أثناء البحث.

2.2. أمثلة عن المناهج البحثية:

1. المنهج التجريبي (Experimental Method) يعتمد على إجراء تجارب محكمة في ظروف محددة لاختبار فرضية معينة، ويُستخدم غالبًا في العلوم الطبيعية والاجتماعية.
2. المنهج الوصفي (Descriptive Method) يهدف إلى وصف الظواهر أو الأحداث كما هي دون تدخل، ويُستخدم في الدراسات الاستقصائية والمسوح.
3. المنهج التاريخي (Historical Method) يعتمد على دراسة الأحداث الماضية وتحليلها لفهم تطورها وأسبابها، ويُستخدم في البحوث التاريخية والاجتماعية.

ثالثًا: تعريف المنهجية (Methodology)

المنهجية هي الإطار الفلسفي والنظري الشامل الذي يوجه عملية اختيار المناهج وأدوات البحث، ويحدد كيفية تصميم الدراسة وتنفيذها وتحليل نتائجها. تُعتبر المنهجية بمثابة "الخطة الكبرى" التي تحكم جميع القرارات المنهجية في البحث، وتستند إلى أسس فلسفية ونظرية تحدد طبيعة المعرفة وكيفية الوصول إليها. بعبارة أخرى، المنهجية هي لماذا وكيف يتم اختيار المناهج والأساليب البحثية، وليس فقط ما هي هذه المناهج.

1.3. خصائص المنهجية الفعّالة:

1. الشمولية: (Comprehensiveness) يجب أن تغطي المنهجية جميع جوانب البحث، من تحديد المشكلة إلى تحليل البيانات وتقديم النتائج، مع مراعاة السياق النظري والعملي.
 2. التبرير النظري: (Theoretical Justification) يجب أن تكون المنهجية مدعومة بإطار نظري واضح يبرر اختيار المناهج والأدوات، ويربط البحث بالمعرفة القائمة في المجال.
 3. الاتساق مع أهداف البحث: (Alignment with Research Objectives) يجب أن تكون المنهجية متسقة مع أهداف البحث وأسئلته، بحيث تضمن الإجابة عليها بشكل فعال.
- بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تتسم المنهجية بالوضوح (Clarity) في شرح كيفية تنفيذ البحث، وبالمرونة (Flexibility) للتكيف مع التحديات التي قد تظهر أثناء الدراسة. كما أن الشفافية (Transparency) في عرض المنهجية تُمكن الباحثين الآخرين من تقييمها وتكرار البحث إذا لزم الأمر.
- باختصار، المنهجية هي الأساس الفلسفي والنظري الذي يوجه البحث العلمي، بينما المناهج هي الأدوات العملية التي تُستخدم لتنفيذ هذا الإطار. المنهجية الفعّالة تضمن أن البحث يتم بطريقة منظمة ومتسقة، مما يعزز مصداقية النتائج ويساهم في تطوير المعرفة في المجال المعني.

2.3. أمثلة عن المنهجيات البحثية:

1. المنهجية الكمية: (Quantitative Methodology) تركز على قياس الظواهر باستخدام الأرقام والإحصاءات، وتعتمد على تحليل البيانات الكمية للوصول إلى نتائج قابلة للتعميم. تُستخدم غالبًا في العلوم الطبيعية والاجتماعية.
2. المنهجية الكيفية: (Qualitative Methodology) تهتم بفهم الظواهر من خلال تحليل البيانات الكيفية مثل النصوص والمقابلات والملاحظات، وتُستخدم لاستكشاف المعاني والتفسيرات العميقة.
3. المنهجية المختلطة: (Mixed Methodology) تجمع بين المنهجين الكمية والكيفية للاستفادة من نقاط القوة في كل منهما، مما يوفر فهمًا أكثر شمولية للظاهرة المدروسة.

رابعاً: العلاقة بين المنهج والمنهجية:

العلاقة بين المنهج والمنهجية تكاملية وهرمية، حيث تُعتبر المنهجية الإطار الأوسع الذي يوجه اختيار المناهج. يمكن توضيح هذه العلاقة على النحو التالي:

1. المنهجية: (Methodology)

- تحدد لماذا يتم اختيار منهج معين، بناءً على الأسس الفلسفية والنظرية للبحث.
- تجيب عن الأسئلة المتعلقة بطبيعة المعرفة وكيفية الوصول إليها (مثل: هل نركز على القياس الكمي أم الفهم الكيفي؟).
- مثال: في بحث عن تأثير التعليم عن بُعد، قد تختار المنهجية الكمية لأنها تهدف إلى قياس التأثير بشكل رقمي وقابل للتعميم.

2. المنهج: (Method)

- يحدد كيف يتم تطبيق المنهجية من خلال أدوات وإجراءات محددة.
- يجيب عن الأسئلة المتعلقة بكيفية جمع البيانات وتحليلها (مثل: هل نستخدم استبياناً أم مقابلات؟).
- مثال: في نفس البحث، قد يكون المنهج المختار هو الاستبيان لجمع بيانات كمية من عينة كبيرة من الطلاب.